أسباب الانحطاط الأخلاقي عند المسلمين وحلها في القرآن والسنة

الشيخ كاظم النصيري/ قسم علوم القران/ كلية التربية/ جامعة واسط

المقدمة

إن الدين يضع الحلول الجذرية لمختلف المشكلات، وتساهم التربية في خلق وبناء الإنسان المتكامل سواء من الناحية الخلقية أم العقلية، فيما لو أخذت العقيدة الإسلامية قاعدة للتربية، ذلك أن التربية من الأمور الكسبية، قال تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[١] ولولا المربّون لمُسخت الإنسانية والمجتمعات، ومن هنا يولد الإنسان بصفحة بيضاء خالية من الخبرات عدا خبرة الانفصال عن الام._وقد نظر ابن الرومي إلى خبرة الانفصال عن الام نظرة فلسفية إذ قال[٢]:

لما تؤذن الدنيا به من زوالها يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
وإلا فما يبكيه منها وأنها لأفسح مما كان فيه وأوسع

وقد شكك الدكتور زكريا إبراهيم في جدوى صلاح أخلاق الناس لان جذور الشر - حسب رأيه- متأصلة في طبيعة الوجود بدليل أن الهدم أيسر من البناء والقتل أخف من التربية والاحياء). ويتمثل (زكريا) بآراء الفيلسوف أبي حيان التوحيدي التشاؤمية عندما يتساءل التوحيدي في احدى مسائله قائلاً: (لِمَ كان الإنسان إذا أراد أن يتخذ عدة أعداء في ساعة واحدة قدر على ذلك، وإذا قصد اتخاذ صديق واحد لم يستطع إلا بزمان واجتهاد وطاعة عزم، أليس في هذا دليل على أن الهبوط أيسر دائماً من الصعود وان الاقبال على فعل الشر أسهل دائماً من المجاهدة في سبيل فعل الخير؟...)[٣].

لذا يتضح أن آراء الفيلسوف (التوحيدي) التشاؤمية من مسألة صلاح الإنسان بدليل أن الهدم أيسر من كسب شخص واحد متناسيا أن البناء يتبع نظاماً مقنناً والهدم أو القتل لا يحتاج إلى مثل هذا النظام. ولا يخفى هنا أن القرآن هو المعلم والهادي للإنسان والانسانية في كل العصور لأنه كتاب حياة الإنسان المتكاملة، فمثلاً على مستوى النفس الإنسانية استطاع ان يُشيع روح الطمأنينة والاستقرار والتفاؤل والطموح، ويجتث كل أسباب التخوّف من مستقبل العالم من خلال الايمان وتزكية النفس وبناء الشخصية. وقد سبق القرآن الكريم ما قرّره علماء التربية فيما يتعلق بالدور المهم والنموذجي للتربية الإسلامية في بناء الإنسان المتكامل في شخصيته وأفكاره وسلوكه.

أمّا على صعيد العقائد الأخرى - سواء أكانت دينية كالعقيدة المسيحية واليهودية أم كانت وضعية - فانها لا تصلح أن تكون قاعدة أساسية للتربية لأنها تنظر إلى الحياة من جانب واحد ومن زاوية معينة كالنظرة الدينية المحضة عند المسيحيين والنظرة الدنيوية الخالصة عند الاسرائيليين والنظرة الاجتماعية عند العلمانيين وغير ذلك من الآراء والنظريات[٤].

ومن هنا فان تعدد النظريات الاجتماعية والتربوية في هذا العالم والنظر إلى القضية التربوية بعين واحد تحرف الإنسان عن مسؤوليته التي خُلق من أجلها ألا وهي المساهمة في بناء الحياة المتكاملة باعتبارها مزرعة لحياة أبدية أخرى بعيدة عن سلبيات الذين يريدون تدمير الحرث والنسل تحقيقاً لمآربهم المنحرفة والبعيدة عن الأخلاق والقيم.

المبحث الأول- المعاناة الانسانية ورؤية القران الكريم لها

المطلب الأول- المعاناة الانسانية وكيفية الحد منها:

يمكن ان تتوزع صفات الإنسان المعنوي على البعد العقائدي، العاطفي والارادي لتؤثر في تخفيف معاناته وآلامه وازالة كل العوامل التي تبعده عن الايمان للوصول إلى تحقيق الاهداف المطلوبة على صعيد بناء النفس والالتزام بالأخلاق النبيلة. وقد توفر الدين على وضع الحلول لتخفيف معاناة الإنسان والانسانية لا أنه قام بهذه المهمة في كل الازمنة وبإمكانه ان يقوم بهذه المهمة لكنه لم يُطلب منه ذلك بسبب عدم تطلّع الناس وان إيمانهم لا يدفعهم باتجاه التفكير الجاد بشيء من هذا القبيل(٥).

من هنا يقول الطبيب النفساني (هانري لنك)*: «... فلن نهتدي إلى حلّ شاف لمشكلات الحياة العويصة ولن ننهل من مورد السعادة عن طريق المعلومات والمعرفة العلمية وحدها فارتقاء العلم معناه ازدياد الارتباك واضطراب التخبط) هذا فيما إذا لم يوافق الرقيّ العلمي بناء على صعيد النفس والقيم الاخلاقية. ثم يقول (لنك) أيضاً: «من يعتنق أو يتردد في دار العبادة يتمتع بشخصية أقوى ممن لا دين له أو يزاول آية عبادة... الدين هو الايمان بوجود قوة كمصدر للحياة. هذه القوة قوة الله: مدبّر الكون، خالق السموات والأرض وهو الاقتناع بالدستور الخُلقي الالهي الذي سنّه الله في كتبه المتعاقبة واعتبار التعاليم السماوية أثمن كنز نغترف منه الحقائق الدينية التي هي اسمى في مرامها من العلوم كلها مجتمعة والقيم الخلقية التي هي أقوى من أساسها من نظرية العقل أو السببية»(٦).

فالبناء التربوي والاخلاقي على أساس الايمان بالله مهم في حياة الإنسانية وانه مع ضعف الايمان وعدم الثقة بالله في حل المشكلات هي نوع من الانتحار التدريجي. وقد انتحر الكثيرون في السويد وغيرها من بلاد الغرب بسبب القلق النفسي وضعف الايمان. والجدير بالذكر ان عدد الانتحارات في الثلاثين سنة الأخيرة يزيد عن (٤٠) مليون منتحر. وقد تسرّب ضعف الايمان من الغرب إلى الشرق، فكانت نتيجة ذلك أن قد حدث خلال (٦) أشهر وفي بلد اسلامي في الشرق (٣٠٠٠) حادثة انتحار(٧). والجدير بالذكر أن الدين يحرّم الانتحار ويعدّه من أعظم المعاصي والكبائر وان المنتحر مخلّد في النار فالدين الإسلامي حرّم ايذاء البدن وايجاد نقص فيه فكيف بالانتحار؟ فضعف الايمان بالله واليأس من رحمة الله هما الباعثان القويان للانتحار، ولذلك لا تجد في بلاد الشرق في وقت كان الايمان فيه قوياً والناس متعبدون أثراً للانتحار.

يقول الدكتور بريل: « ان المتديّن لا يصاب بأمراض نفسية وجميع الأمراض الجسمية كقرحة المعدة واختلال الجهاز الهضمي وضربات القلب وغيرها ناتجة عن القلق النفسي والاضطرابات الروحية»(٨). وان عدم التوجّه في المشاكل إلى الخالق المتعال وعدم المثول بين يدي رب العباد بتضرع وابتهال عند طروء المشاكل والنوائب أدّيا إلى انتحار فضيع في أمريكا، ففي احدى الاحصائيات «ان في امريكا ينتحر في كل ٣٥ دقيقة شخص واحد ويبتلى بالجنون في كل دقيقتين شخص واحد»(٩).

ومن هنا فالبعد الأخلاقي في النظرية القرآنية واصالته في العقيدة الإسلامية له دور مهم على صعيد قطع دابر الظلم والفساد واحترام العدالة والكرامة الإنسانية، ومن هنا فالقوانين لا تأمن التخلّف إلا إذا تأسست على مبادئ انسانية وأخلاقية. كما ان المبادئ الأخلاقية بمفردها لا تفي بإسعاد المجتمع وبابعاده عن حالة الانحطاط إلا إذا اعتمدت على الايمان بان للعالم إلهاً واحداً لا يُغلب على قدرته عن أحد وانه خلق الأشياء على أكمل نظام لا لحاجة منه إلهيا وسيعيدهم إليه فيحاسبهم فيجزي المحسن ويعاقب المسيء ثم يخلدون منعمّين أو معذبين(١٠).

ونجد على صعيد الإرادة والاختيار، أنّ الشيء الوحيد الذي يصنع الإنسان المعنوي خارج اطار هذا العالم، ودون الذوبان فيه هو الإرادة والاختيار، فالعلم والشعور من دون إرادة لن يخرج الإنسان من دائرة الذوبان في العالم، ذلك أن الإرادة والاختيار هي التي تجيب على ماذا أصنع؟ كما أنه لابد أن يكون للعلم تأثير في الفعل على مستوى البدن أو الذهن أو النفس وهذا هو الهاجس الأكبر لدى المعنوي. وان الامتحان يجري كما جرى في الأمم السابقة {أَم حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ...}[١١]، و{ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...}[١٢]. هذا مع العلم بان تحرير الإرادة من كل المؤثرات يتمّ من خلال:

١- تنمية عامل التقوى في نفس الإنسان وتجسيد المثل والقيم والاهداف الكبيرة واعطاء التصور الحقيقي للإنسان عن الحياة { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }[١٣] فالآيات ناظرة إلى مكانة الشهداء ومقامهم الرفيع.

٢- ان مجرد نهي القرآن في عصر الرسالة عن شرب الخمر كان له الاثر العميق في كف المسلمين عموماً عن تناوله وأصبحوا يتحملون المسؤولية لتخليص الإنسانية من الطواغيت، ومن هنا فالدين ليس ملجأ الضعفاء بل هو سلاح الأقوياء.

المطلب الثاني- الرؤية القرآنية:

لقد نبّه القرآن الكريم الأمة عندما لفتَ نظر الإنسان إلى مختلف النعم الظاهرة والباطنة: {... وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }[١٤] وهذه النعم لا يمكن نكرانها من قبل أي أحد وبهذا اجتث التخوف بما سيسود العالم في المستقبل وحقق ما لم تستطع تحقيق بعضه أية ثورة اصلاحية في العالم. فالايمان بتوحيد الله وتطهير العقيدة وتزكية الأخلاق كل ذلك نقل الأفراد والجماعات نقلة تلاشت عندها الضلالات والانحرافات وأشرقت الأرض بنور التوحيد والعلم والمعرفة[١٥]. لذا يتضح أنه لا يوجد معنى للهداية والأخذ بيد البشرية إلى المستقبل الأفضل أسمى مما أنجزه القرآن في مجالي النظريات والتطبيق. وهل يمكن للإنسان (العلماني) ان يحقق في أي مجال من مجالات الحياة العامة والفردية أدنى ما حققه الإنسان (القرآني) [١٦] بأول دفقة شعاع أشرقت من القرآن؟

فالإيمان والعقيدة هما رأسمال الإنسان وإذا فقده فقدَ واحداً من رؤوس أمواله في الحياة. والجدير بالذكر ان (تولستوي) [١٧] يرى أن: «الايمان هو ذلك الشيء الذي يعيش به الإنسان» ويقصد أن الايمان من أفضل رؤوس الأموال في الحياة، إذا فقدَه الإنسان فقدْ فقدَ أهم رأسمال له. ولا يخفى ان الاطمئنان والسلامة الروحية والنفسية هذه كلها رؤوس أموال في الحياة وفقدان احدها يسبب نقصاً في سعادة الإنسان وتكامله[١٨].

كما أن المعايير المادية والمفاهيم الارضية غير المرتبطة بالقرآن الكريم نجدها غير قادرة على ابعاد الإنسان عن الفوضى والشقاء وشبح الحروب ومما لا ريب فيه انه لولا الالتزام الأخلاقي والقوة المعنوية للايمان لكان الصلح مستحيلاً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً...)[١٩] فسِلْم وسلام في اللغة بمعنى الصلح والهدوء فالآية الكريمة تدعو جميع المؤمنين إلى الصلح والسلام والتسليم إلى أوامر الله تعالى، ويستفاد من مفهوم هذه الآية أن السلام لا يتحقق إلا في ظل الإيمان والتمسك بالقيم الأخلاقية.

ومن هنا يمكن القول: إن دعوة الآية العامة لجميع المؤمنين بدون استثناء من حيث اللغة والعنصر والثروة والاقليم والطبقة الاجتماعية إلى الصلح والسلام والانقياد والطاعة يستفاد منها أن تشكيل الحكومة العالمية الواحدة في ظل الايمان بالله تعالى والعيش في مجتمع يسوده الصلح ممكن في اطار الدولة العالمية[٢٠]. ذلك ان اللغة والعنصر

وما إلى ذلك من الاطر المادية الارضية هي عوامل تفرقة بين أفراد البشر وبحاجة إلى حلقة اتصال محكمة تربط بين قلوب الناس وهذه الحلقة ليست سوى الايمان بالله تعالى الذي يتجاوز كل الاختلافات. فالايمان يرفع الفرد من مستوى هذه الدوامة التي يقع في تياراتها ويضعه في المكان المرتفع الذي يجعله قادراً على النظرة الشاملة. لذا يعتبر الايمان قوة غلابة تحمل الإنسان إلى النجاح[٢١]، وان افضل ما يمكن ان يفعله الإنسان هو ان يهدف إلى العدالة الكونية وحب اخوته في الإنسانية[٢٢].

فالإيمان رأسمال في حدّ ذاته بل هو طليعة ما يمكن أن يتصور من رؤوس الأموال وأهمها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...)[٢٣] فيتحدث القرآن عن الايمان بالله ورسوله كتجارة ورأسمال مربح. والتجارة - على ما ذكره الراغب- التصرّف في رأس المال طلباً للربح، فقد أُخذ الايمان في الآية تجارة رأس مالها النفس، وفخّم الله تعالى أمر هذه التجارة حيث قال: (على تجارة) أي تجارة جليلة القدر وجعل الربح الحاصل منها النجاة من عذاب أليم[٢٤].

ومما يجدر ذكره هنا أن البشر عرف الماديات قبل معرفته المعنويات والتمسك بالمبادئ الأخلاقية، فمثلاً عندما تقول ان الثروة رأسمال في الحياة يدرك السامع صحة هذا القول ويعرف قيمته. ولكن في القول عينه تكون الأخلاق الحسنة والتربية الصالحة رأسمال من نوع آخر في الحياة يبعث على السعادة والتكامل، بل إن أثرها أسمى بدرجات من أثر الثروة، ولكن الإنسان لا يفهم ذلك بالسرعة التي يفهم بها أهمية الثروة. كذلك الايمان فكثير من الأشخاص الذين وهبوا هذه النعمة العظمى، يستظلون بظلها في تنعّم ورضا بالحياة وان سلامتهم العقلية والروحية وطول أعمارهم مدينة لهذا الايمان المبذور في قلوبهم دون أن يعرفوا ذلك. وكثيرون هم على العكس يقضون أعمارهم في العذاب والتردد والخوف والرهبة وضعف الادراك دون أن يعرفوا أن السبب الرئيسي لهذا هو أنهم فقدوا واحداً من أهم رؤوس الأموال في الحياة ألا وهو الايمان بالله والرسول (صلّى الله عليه وآله)[٢٥].

ومن هنا يتضح أن أول أثر للإيمان بالله تعالى هو أنه سند للأخلاق ذلك أن سلسلة المعنويات - كالتقوى، الصدق، الأمانة، التضحية والاخلاص...- مبنيّة على الايمان بالله والاعتقاد بوجوده تعالى، ذلك أنها جميعاً تتنافى مع مبدأ حب الذات.

المبحث الثاني- الاخلاص والتكامل الانساني وأثرهما في عقيدة الفرد والمجتمع

المطلب الأول- الإخلاص والتكامل الانساني:

إنّ خلوص نية الإنسان وكماله هي بمقدار ما يكون مسيطراً على نفسه وشهواته فبذلك المقدار تكون النية أقرب إلى الخلوص. فعن الإمام علي (عليه السلام): «طوبى لمن أخلص لله عملَه وعلمه وحبه وبغضَه، وأخذَه وتركَه، وكلامَه، وصمتَه، وفعلَه وقولَه»[٢٦]، وعنه (عليه السلام) : «تصفية العمل أشد من العمل، وتخليص النية عن الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد»[٢٧]. والجدير بالذكر أن الشبان- بشكل عام- لا قدرة لهم على الإخلاص في أعمالهم ونيتهم قد تكون مشوبة بالرغبة في اشباع الشهوات لديهم وإن كانوا يريدون ارضاء الحق. وهذا الأمر لا يدعو إلى القلق، فالشاب عندما يشق طريقه في المجتمع فانه سيصفّي نيته من الشوائب بالتمرّس على الأعمال الصالحة. ويمكن أن تحصل النفس على الكمال المطلوب عندما يصل البشر إلى مكارم الأخلاق العالية في تزكية النفس. ولا يخفى ما للترغيب والترهيب من آثار ايجابية في ارتقاء الإنسان نحو الكمال المنشود، وقد توصل علماء التربية إلى ان الترغيب له أثره الابلغ والافضل في شأن التربية من الترهيب.

والقرآن الكريم قد أنذر وبشّر في كثير من آياته إلا أنه جعل ثواب العمل الصالح وأداء الواجبات المفروضة مضاعفاً أضعافاً كثيرة دون أن يضاعف العقاب على المتخلّف أو المقصّر في أداء الواجب: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[٢٨]. ويقول الإمام علي (عليه السلام): في وصيته لمالك الاشتر (رحمه الله): «فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتُحرّض الناكل ان شاء الله»[٢٩]. وذكر سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم فيما يتعلق بالمسير التكاملي للبشر عناوين متعددة ترغيباً على نيل مكارم الأخلاق والاقدام على الخيرات والعمل الصالح والصبر على الشدائد وما إلى ذلك. فتارةً يقول سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ* جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)[٣٠].

وتارة يقول في سورة أخرى: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)[٣١]. واخرى يدعو الناس إلى العمل الصالح: (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[٣٢]. أو يدعوهم إلى التسابق والمسارعة إلى الخيرات والعمل الصالح كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)[٣٣]. لأن هذا التسابق في الخير من علائم الإيمان. وأحياناً يبيّن الله سبحانه للمجاهدين رضاه ترغيباً لأمرهم: (رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)[٣٤]. ويجعل نفسه تعالى ناصراً ومعيناً للمحسنين والمتقين: (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ)[٣٥]. وفي قبال ترغيب المؤمنين وتحريضهم على بلوغ مدارج الكمال أنذر الله المشركين والملحدين وبين درجات غضبه على الكفار والفاسقين أولي الأوزار المستوجبين الخلود في النار، يقول تعالى حاكياً على لسان نبيه موسى (عليه السلام) في مواجهة المعاندين: (إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)[٣٦].

المطلب الثاني- تأثير الإخلاص على عقيدة الفرد والأمة:

إن الآثار الأخلاقية والروحية للقرآن الكريم على صعيد الفرد والمجتمع والامة لها تأثير كبير على مختلف مجالات الحياة ولها الدور الواضح في انطلاق النهضات المباركة، ذلك أنها تلعب دوراً مهماً تحتاجه الأمة في طريقها الطويل. ومن هنا فتأثير مفاهيم الإخلاص في جميع سور القرآن يعتبر بمثابة العامل الرئيسي في تحرير الإرادة وبناء الشخصية الإنسانية واعدادها. ونجد أن أكبر ركن من أركان ايّ نهضة في العالم هو ابتعاد رجالها وقادتها عن الماديات وتمسكهم بالروح الأخلاقية والمعنوية حتّى يتمكنوا من الوقوف بصلابة على أرضية ثابتة.

أما على صعيد الإرادة فقد حرّر القرآن إرادة الإنسان من سيطرة الشهوة، فصار الإنسان المسلم نتيجة لتربية القرآن قادراً على مقاومة شهواته وضبطها والصمود في وجه الاغراء وألوان الهوى المتنوعة، قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)[٣٧].

بهذا وغيره من نماذج التربية والترويض استطاع القرآن ان يحرر الإنسان من العبودية لشهواته الداخلية التي تختلج في نفسه لتصبح الشهوة أداة تنبيه للإنسان إلى ما يشتهيه، لا قوة دافعة تسخر إرادة الإنسان دون أن يملك بازائها حولاً أو طولاً وقد أطلق الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) على عملية تحرير الإنسان هذه من شهواته الداخلية اسم «الجهاد الأكبر»[٣٨].

والجدير بالذكر أن العرب في الجاهلية كانوا مولعين بشرب الخمر معتادين عليها، حتّى أصبح ضرورة من ضرورات الحياة بحكم العادة والألفة وشغلت الخمر جانباً كبيراً من شعرهم وتأريخهم وأدبهم وكثرت أسماؤها وصفاتها في لغتهم، وكان من شيوع تجارة الخمر أن اصبحت كلمة التجارة مرادفة لبيع الخمر في مثل هذا الشعب المغرم بالخمر نزل القرآن الكريم بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٣٩].

فما قال القرآن (اجتنبوه) إلا وانطلق المسلمون إلى زجاج خمورهم يشقونها بالمدي والسكاكين يريقون ما فيها ويفتشون في بيوتهم لعلهم يجدون بقية من خمر فاتهم أن يريقوها وتحولت الأمة القرآنية في لحظة إلى أمة تحارب الخمر وتترفع عن استعماله كل ذلك حدث لأن الأمة كانت مالكة لارادتها، (حرة) في مقابل شهواتها قادرة على الصمود أمام دوافعها الحيوانية وأن تقول بكل صرامة وجد حين يدعو الموقف الى ذلك وبكلمة مختصرة كانت تتمتع «بحرية (حقيقية) تسمح لها بالتحكم في سلوكها».

وفي مقابل تلك التجربة الناجحة التي مارسها القرآن الكريم لتحريم الخمر نجد ان أرقى شعوب العالم الغربي مدنية وثقافة فشل في تجربة مماثلة فقد حاولت الولايات المتحدة الامريكية في القرن العشرين أن تخلص شعبها من مضار الخمر فشرعت في سنة ١٩٢٠ قانوناً لتحريم الخمر ومهدت لهذا القانون بدعاية واسعة عن طريق السينما والتمثيل والاذاعة ونشر الكتب والرسائل وكلها تبين مضار الخمر مدعومة بالاحصائيات الدقيقة والدراسات الطبية.

وقد قدر ما انفق على هذه الدعاية (٦٥) مليوناً من الدولارات وسودت تسعة آلاف مليون صفحة في بيان مضار الخمر والزجر عنها ودلت الاحصائيات للفترة الواقعة بين تاريخ تشريعه وبين تشرين الاول ١٩٣٣ انه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نسمة وحبس نصف مليون نسمة وغرم المخالفون له غرامات تبلغ مليوناً ونصف المليون من الجنيهات وصودرت أموال بسبب مخالفته تقدر باربعمائة مليون جنيه واخيراً اضطرت الحكومة الامريكية الى الغاء قانون التحريم في اواخر سنة (١٩٣٣) وفشلت التجربة[٤٠].

والسبب في ذلك ان الحضارات الغربية بالرغم من مناداتها بالحرية لم تستطع بل لم تحاول ان تمنح الإنسان الغربي الحرية الحقيقية التي حققها القرآن الكريم للإنسان المسلم وهي حريته في مقابل شهواته وامتلاكه لارادته امام دوافعه الحيوانية فقد ظنت الحضارات الغربية ان الحرية هي ان يقال للإنسان اسلك كما تشاء وتصرف كما تريد وتركت لاجل ذلك معركة التحرير الداخلي للإنسان من سيطرة تلك الشهوات والدوافع فظل الإنسان الغربي أسير شهواته عاجزاً عن امتلاك ارادته والتغلب على نزعاته بالرغم من كل ما وصل إليه من علم وثقافة ومدنية.

ولا يوجد شيء آخر غير القيم الأخلاقية المستوحاة من القرآن يمكن أن تؤثر في النفس الإنسانية وتدفعها للتخلّي عن مغريات الدنيا والعمل في سبيل الله، والتغلب على مختلف أشكال الصعاب: (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)[٤١] وان هذه الاستعانة ثقيلة لا ينهض بعبئها إلا الخاشعون. وأشارت الآية إلى (الصبر والصلاة) ذلك أنّ الصبر يمثل حالة الصمود والاستقامة والثبات في مواجهة المشاكل، والصلاة هي وسيلة الارتباط بالله تعالى. ويحصل الإنسان في ظل هذه العبادة على الإرادة القوية والايمان الراسخ والقدرة على التحكّم في الميول والرغبات.

وروى الشيخ الطبرسي: أن النبي (صلّى الله عليه وآله) كان إذا أحزنه أمر استعان بالصلاة والصوم، وعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) أنه قال: «ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غمٌّ من غموم الدنيا أن يتوضأ ثم

يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيها، اما سمعت الله تعالى يقول: (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)[٤٢]، فالتوجه إلى الصلاة والتضرّع إلى الله تعالى يمنح الإنسان طاقة جديدة تجعله قادراً على مواجهة المشكلات والتغلب على مختلف الصعاب ذلك أن الصلاة تربط الإنسان بالقدرة اللامتناهية التي لا يقهرها شيء. وهذا الاحساس يبعث في الإنسان قوة وشهامة على تحدّي المشكلات والصعاب.

والجدير بالذكر أن بعض الآيات الكريمة تنزل على نفس الإنسان كالصاعقة تقطع جذور الأهواء والشهوات الدنيوية من النفس البشرية وتؤثر كثيراً على حياة الإنسان في هذه الدنيا: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[٤٣]، (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ...)[٤٤] فذكر تعالى هنا لفظ الشراء تلطّفاً لتأكيد الجزاء، لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه وهو تعالى مالك الأشياء كلها، وهناك الكثير من هذه الآيات في القرآن الكريم.

وعندما يقرأ الإنسان القرآن ويواجه مثل هذه الآيات المباركة الحاوية على مثل هذه المضامين فانه يتخلّى عن الماديات البغيضة ويزداد تعلّقاً ورسوخاً بالأهداف والرؤى الأصيلة، وهذا الأمر لا يمكن لغير القرآن ان يمنحه للإنسان[٤٥]. أما الأحاديث والروايات النبوية الشريفة فلها الاثر الكبير في هذا المجال ولكن ليس بِقَدر أثر القرآن على النفوس، والإنسان الموحّد المؤمن بالله تعالى والمعتقد بمبادئ التوحيد يعي جيداً الفرق بين تأثير القرآن وتأثير الأمور الأخرى في مثل هذه الحالات.

فالقرآن الكريم يمنح المسلم الروح المعنوية العالية: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)[٤٦]، وان قيمة الإنسان - من خلال هذه الآيات- تتمثل بالايمان والعمل الصالح وان الإنسان في ظل الايمان والاستقامة يصل إلى مرحلة بحيث تنزّل عليه الملائكة وتعلّمه وتبشره.

فالإنسان عندما يعايش الآيات القرآنية من خلال روحه وقلبه ويبتعد عن الأمور المادية فان الآيات تتجسد أمامه وتتحول إلى حركات في حياته اليومية. كما أن القرآن يمنح حركات وأفعال الإنسان المعنى الصحيح والمناسب لها بحيث أن الإنسان المؤمن عندما يسير على هذا النهج (نهج القرآن) فانه يرى بأن حريته لا يمكن ان تهزم إطلاقاً، ذلك أن القرآن الكريم يحدّد لنا الطريق دوماً وبشكل واضح وأكيد[٤٧].

وعلى صعيد الحسنيين في قوله تعالى: (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا...)[٤٨] أنّهما احدى النعمتين العظيمتين اللتين يتوقعهما وينتظرهما المؤمنون: إمّا الغَلَبة والغنيمة في الدنيا أو الشهادة مع الثواب الدائم في الآخرة[٤٩]. بينما يتوقع المؤمنون للمنافقين العذاب والهلاك من الله وبأيدي المؤمنين.

والجدير بالذكر أن الانتصار في الاختبارات والامتحانات لا يتحقق إلا في ظل الثبات والمقاومة والقرآن الكريم يمنحنا القوة المعنوية لمواصلة ذلك: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[٥٠].

ومن هنا فالصابرون وبفضل الروح المعنوية التي يتمتعون بها يستطيعون الخروج منتصرين من هذه الامتحانات، وأنّ من يموت أو يُقتل منهم في هذا الطريق يُعدُّ من الأحياء، أي أن لهم احدى الحسنيين. فالمسلم الحقيقي لا يعرف معنى الهزيمة في الحياة، لأنه عندما يدخل معترك الصراع يعتقد بأن الأمور كلها بيد الله تعالى ويؤمن بالسنن والاقدار الإلهية ولا ينسى الله أبداً، لأنه يعتقد بأنّ الله تعالى يريد منه أن يدخل معترك الصراع بهذا التفكير وبالتالي فانه لا يوجد معنى للهزيمة في هذا الطريق الإلهي، وبهذا الاعتقاد فإننا ننجز ما علينا من واجب والنتيجة بيد الله وحده. وقد نفشل في مكان ما أو تواجهنا المشكلات في مكان آخر ولكننا مع كل ذلك نعتقد بأن أجرنا وثواب عملنا محفوظ عند الله سواء نجحنا أم فشلنا في أمرٍ ما وهذه المفاهيم موجودة في جميع سور القرآن الكريم[٥١]. فالذي يجعل الإنسان صبوراً يقف كالجبل الشامخ في ساحة الصراع هو من خلال استلهامه القرآن الكريم.

المطلب الثالث- بناء الذات:

والمسألة الأخرى ذات الأهمية هي بناء نفس الإنسان بصورة دائمة لإضفاء الصبغة الإنسانية المتكاملة على شخصيته وأنه لولا وجود هذه الخصلة لواجه الفشل في حياته. ولهذا يجب على الإنسان أن يحافظ على بناء نفسه وشخصيته وإلا فإنه يبقى في حالة ركود، فبناء النفس الإنسانية باستمرار أمر ضروري لكل الأفراد. ذلك أن غريزة الانانية تُعدّ من أخطر الغرائز البشرية في أغلب المفاسد والجرائم التي تقع يومياً وأن منشأها حبُّ الذات. فالأنانية عدو الأخلاق الأكبر ومن المستحيل على الإنسان أن ينال مكارم الأخلاق دون أن يضع رقابة على هذه الغريزة!

والرقابة على الأنانية تعني استئصال جميع المعايب الأخلاقية واعداد الإنسان لاكتساب الفضائل الاخلاقية: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)[٥٢] فالتزكية هي النمو والتطهير من الآثام وخاب من الخيبة وهي فوت الطلب، ولا يخفى أنّ من كمال النفس الإنسانية أنّها ملهمة مميّزة - بحسب فطرتها- للفجور من التقوى، أي ان الإسلام فطري للنفس فتحلية النفس بالتقوى تزكية وانماء صالح وتزويد لها بما يمدّها في بقائها: (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)[٥٣].

إن الدين الإسلامي يعرف مدى خطورة هذه الغريزة وعندما يريد القرآن الكريم أن يتكلم عن منكري الله تعالى ومنكري العبادة والدعاء يعبّر عنهم بالمتكبرين: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ*)[٥٤]. ذلك أن الدعاء بمعنى العبادة وهو كثير في القرآن: (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا)[٥٥] فالدعاء هو اعتراف بالعبودية والمسكنة وان تارك الدعاء انما تركه لأجل أن يستكبر عن اظهار العبودية[٥٦].

وقد وضع الإسلام ضابطة لغرض التحكّم بغريزة الانانية وذلك من خلال الاعتقاد:

١- بان للبشر خالقاً يجدر بالعباد أن يؤمنوا به ويعبدوه ليسعدوا.

٢- وأن البشر ليس موجوداً مستقلاً على الأرض ليفعل ما يشاء، بل هو خليفة لبسط العدل والاعمار واطاعة الله تعالى: (اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[٥٧]، (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)[٥٨] فأي شيء من مسائل التقدم العلمي تقع نتيجته في صالح البشرية فإنما ذلك وظيفة على النوع الإنساني في أن يقوم ليعمّر الأرض بهذا النوع.

فالاعتقاد بهذين الأمرين السابقين من امتيازات المبادئ المعنوية والأخلاق الإسلامية والدور البارز لهما في الدرجة الاولى مكافحة حب الذات والانانية وإيجاد الصفات الاخلاقية الفاضلة بالدرجة الثانية، حتّى ان حب الذات يكون في الإنسان بمقدار حاجته للبقاء في حياته، وفي ظل هذين الأمرين يمكن للبشر أن يطوروا مسيرتهم التكاملية

بكامل الاطمئنان.

ولو فُرض أن الإنسان موجود مستقل أو حرّ فلا يحس بأي مسؤولية على عاتقه وستكون روح العصيان والتمرّد والصلف فيه قوية، فحين يرى نفسه دون رقيب يرتكب ما يشاء من المعاصي ولا يأبى من الكف عنها لو اقتضت مصلحته. ونجد في قبال ذلك الإنسان الذي يرى أنّ كل طاقاته وامكاناته واستعداده لله تعالى، فانه لا يجد لنفسه مالكية حتّى يغتّر بها، فمثل هذا الإنسان يرى نفسه مأموراً في تنفيذ القوانين الإلهية.

وتجدر الاشارة أن حالة بناء النفس كانت موجودة ابتداءاً بأكبر شخصية عرفها التاريخ الإنساني والمتمثلة بالرسول الأكرم محمّد (صلّى الله عليه وآله) وانتهاءاً بأبسط فردمن أفراد المجتمع المسلم. وإذا أُهملت هذه الضرورة في تجديد وبناء النفس الروحية فانها قد تؤدي إلى إهمال قدرة التحرك الفاعل والسليم للفرد في مختلف مجالات الصراع والتي يواجهها في حياته وعلى مختلف الصعد.

فهل يمكن الاعتقاد بأن هناك شيء أفضل من القرآن الكريم يستطيع أن يضمن تنفيذ أوامره؟ ثم لماذا كانت صلاة الليل للنبي الأكرم واجبة؟ إن سورة (المزمّل) توضح ذلك: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً)[٥٩] والجدير بالذكر أن سياق الآيات تشير إلى دعوة الرسول (صلّى الله عليه وآله) للاستقامة والاستعداد لقبول مهمة كبيرة وثقيلة وهذا لا يتم إلا بالبناء المسبق للذات علماً بأن المخاطب في هذه الآية هو الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) ولكن لا بعنوان يا أيها الرسول أو يا أيها النبي، بل بعنوان يا أيها المزمّل[٦٠] إشارة إلى أن هذا ليس زمان التزمّل والانزواء بل زمان القيام والبناء الذاتي والاستعداد لأداء الرسالة العظيمة، واختيار الليل لهذا العمل.

أولاً: لأن أعين الاعداء نائمة، وثانياً: تتعطل الأعمال والمكاسب.

ولهذا فان الإنسان يستعد للتفكّر وتربية النفس واختيار ترتيل القرآن في البرنامج العبادي الليلي لأنه يعدّ من أفضل الوسائل لتقوية الايمان والاستقامة والتقوى وتربية النفوس. وأما التعبير بالترتيل فيراد القراءة بالتأنّي والانتظام اللازم والاداء الصحيح للحروف، ذلك أن مثل هذه القراءة تعطي الإنسان الرشد والنمو المعنوي السريع والشهامة الخلقية وتهب القوى. ومن هنا فان استدلالنا من هذا النوع أن النبي (صلّى الله عليه وآله) حُمّل مسؤولية كبيرة فعليه أن يسهر الليل ويبتهل ويدعو ربّه وأن يرتّل القرآن لمدة تستغرق نصف الليل أو ثلثيه وينام في الثلث الآخر.

فالرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) الذي كان أكثر البشر كمالاً كان بحاجة إلى الدعاء والابتهال ونلمس ذلك بوضوح من خلال مطالعة أواخر السورة المذكورة: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ)[٦١]. لذا يتضح أن هذه السورة نزلت على النبي (صلّى الله عليه وآله) في المدينة المنورة في الوقت الذي كان المسلمون يواجهون مشاكل وعقبات، وبعد أن رفعت من مشاكلهم أمر الله تعالى عندما قال: (فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)[٦٢] مؤكداً لهم على الاكثار من قراءة القرآن كلما سنحت لهم الفرصة[٦٣].

فإذا أراد المسلمون الاستفادة من الآثار الروحية والأخلاقية في القرآن لبناء شخصياتهم عليهم الاكثار من قراءة وترتيل[٦٤] سور القرآن الكريم وبشكل دقيق حتّى يستقر في القلوب، فإن أجمل الأشياء للقلوب هو قراءة القرآن الكريم. وأن النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يقرأ القرآن لكي يثبّت قلبه، حيث يقول تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا

نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)[٦٥] فالنزول المعترف به والذي كان النبي (صلّى الله عليه وآله) والناس يتفاعلون معه دائماً هو النزول التدريجي للقرآن.

وتؤكد مبادئ التربية أن الأشخاص المراد تربيتهم ينبغي أن يؤخذ بأيديهم خطوة خطوة وأن هؤلاء المعترضين على النزول التدريجي غافلون عن أن القرآن ليس كتاباً عادياً يبحث في موضوع أو علم معين، بل هو منهج حياتي للأمة. ومن هنا فالنزول التدريجي للقرآن كان سبب ارتباط النبي (صلّى الله عليه وآله) الدائم والمستمر بمبدأ الوحي ما يجعل قلبه الشريف أقوى وارادته أشد[٦٦].

وقد جاءت فلسفة نزول القرآن التدريجي لتثبيت الأثر المعنوي في نفوس المسلمين وزيادة إيمانهم للعمل وفق القرآن والالتزام به. وإذا أراد المسلمون الاتحاد في مواجهة الاعداء عليهم التمسك بالقرآن فهو حبل الله المتين والمتصل بين الأرض والسماء إلى يوم القيامة، وهذا لا يعني أن ننسى كل المبادئ غير القرآنية فقد يوجد فيها بعض الأمور المفيدة التي لا توجد في القرآن الكريم إلاّ أن القرآن تتوفر فيه الشروط اللازمة لوحدة المجتمع الإسلامي.

المبحث الثالث- تعاليم الأخلاق في الأديان السماوية:

المطلب الأول- التعاليم المعنوية والأخلاقية في الأديان:

إن الأخلاق هي المنفعة الأساسية في حياة الإنسان فمتى ما كان النظام الأخلاقي للإنسان صحيحاً وكان ضمان تنفيذه راسخاً قوّياً فالإنسان يعرف واجبه وهو سعيد أيضاً، واما لو كان النظام الأخلاقي مضطرباً أو فقد ضمان التنفيذ فالنتيجة هي شقاوة الإنسان. فالمتدين العقلائي هو الذي يرى الكون محكوماً بنظم أخلاقية في منتهى الدقة، ذلك أن أي ذرة خير أو شر يستحيل ان تضيع سدى في هذا الوجود، فحينما يقال: إن نظام الكون نظام أخلاقي معنى ذلك أن الكون مفطور بنحو يدرك ما نقوم به نحن البشر من فضائل أو رذائل أولاً، وثانياً تصدر عنه ردود أفعال تناسب هذه الحسنات والسيئات، أي أن الله نظمه بحيث يجازي على الخير والشر فإذا آمن شخص بهاتين القضيتين فهو مؤمن بسيادة نظام أّخلاقي دقيق جداً على عالم الوجود[٦٧].

والجدير بالذكر أن عامة العلماء والمفكرين لا ينكرون تأثير الأخلاق أو دورها البنّاء في الحياة والسبب الذي دعا علماء القرن العشرين الكبار إلى لزوم الاعتقاد بما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) والإيمان بعالم الروح هو التجربة المرّة التي ذاقوها نتيجة اشاعة الأخلاق الفلسفية والصناعية وفقدان ضمان تنفيذ القوانين الأخلاقية. فالاخلاق تبسط العدل والسلام في العالم كله وتصفّي القلوب وتفتّح المواهب وتنعش النفوس وتصيّر الجميع إخواناً وأعضاء أسرة واحدة. كما تجعل الناس مصدراً للخير والعمل الصالح وتبلغ بالإنسان مقاماً من المعنويات بحيث يكون في عِداد الملائكة بل أعلى شأناً.

المطلب الثاني- الإسلام وثبات الأخلاق:

ولا يخفى نصيب الإسلام في تكامل البشر وعلوّهم ورفعتهم على أيّ متفحص منصف، وانه لولا ثبات الأخلاق الإسلامية لم يُلحظ أيُّ فارق بين الإنسان والحيوان. ونجد في طول الحياة البشرية ظهر أفراد سعوا بحكم وظيفتهم إلى ترسيخ مباني الأخلاق وتثبيت قواعد الفضيلة وحفظها وصيانتها عن العوامل المضادة للإنسانية. فالتمدن الإسلامي كان له في طول حياته تعامل مع الأمم والقوميات المختلفة، وقد لمس ثقافاتٍ مختلفة وشاهد عادات وتقاليد متعددة إلا أن ثبات عقيدة الأمة الإسلامية وثبات أخلاقها بنظرة الإسلام العالمية استوعبت وهضمت جميع الثقافات

والمدنيات والحضارات والتقاليد والعادات الاجتماعية البشرية، بينما نجد الغرب بجميع ابداعاته كان تاريخ حياة انسانيته مليئاً بالألم والدمار لعدم ثبات أخلاقه. لذا يتضح أن طريق العلاج الوحيد الذي بوسعه أن يكون مشعل الهداية للمجتمع القلق هو ثبات الأخلاق.

إن الإسلام يربي اتباعه بنحو يراعون فيه قانون الأخلاق في جميع حالاتهم في الحياة فلا تتزلزل التعاليم الأخلاقية بسبب الفقر أو الثروة أو الضعف أو القوة. كما ان التلوّن أو الرياء أو تحيّن الفرص وانتهازها كل ذلك بعيد عن ساحة الإسلام ذلك ان الإسلام مظهر التقوى والثبات: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[٦٨]. فالإسلام ينظر إلى الناس نظرة واحدة دون أن يلتفت إلى اللون أو اللغة أو الجنس ولا يرى أي امتياز لأحد عند تنفيذ التعاليم الأخلاقية وشعارات الإسلام الأخلاقية والاجتماعية.

وليس هذا بأمر خفيّ فعلى سبيل المثال عندما نلاحظ سنين بعثة النبي (صلّى الله عليه وآله) الأولى، فعلى الرغم من قلة أتباع الإسلام وتخفّيهم في أطراف مكة خوفاً من ظلم العرب المشركين كان لحن آيات القرآن مشعراً بأنه لجميع الناس حيثما كانوا: (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ)[٦٩]. فبناء على ما تقدّم ان هدف الإسلام هو تربية الإنسان المطلق لا المحدود بزمان ومكان معين، وان كل نظام تربوي يحوي سلسلة نواقص أصولية ضمن حسناته وامتيازاته.

المطلب الثالث- النظام الأخلاقي في الأديان:

أما النظام الأخلاقي الإسلامي الذي هو إرادة مدبّر عالم الوجود الثابتة يمتاز بايجاد روح الاعتدال بين جميع القوى المادية والمعنوية، حيث يُتّبع في هذا النظام اسلوب معين ففي الوقت الذي يتمّ فيه إرضاء الميول البشرية السطحية والعميقة يبقى تناسبها وانسجامها محفوظاً، مع أن نظم المذاهب الفلسفية غير قادرة على تأمين هذا التناسب لأنها لم تسبر أغوار محيط النفس الإنسانية ولا ضفافها. فالنظام الاخلاقي الإسلامي يجعل الإنسان سعيداً في أفضل صورة ممكنة، ذلك أنه لوحظ فيه جميع حاجات البشر الفطرية.

لقد كانت جميع الاديان السماوية تتضمن تعاليم أخلاقية وكان سفراء النبوة والرسل جمعيهم يسعون دائماً لتلقين أتباعهم وأصحابهم الأخلاق الحسنة والسجايا الطيبة. فالمسيحية ترى الناس سواسية في المنزلة والقيم وان جواب السيئة هو الحسنة وأن الفضيلة هي المحبة التي تمثل شعار المسيحيين العظيم ذلك أنهم ينقلون ويروون عن السيد المسيح (عليه السلام) مواعظ ونصائح طريفة: «واما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لمن يلعنكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصَلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» «من لطمك على خدّك الأيسر فحوّل له الآخر!..»[٧٠].

أما الإسلام فيقول: (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)[٧١] فالمؤمن إذا تعرّض للظلم عليه ان لا يستسلم له وعليه أن ينتصر ضد الظلم وهذا لا ينافي المغفرة عند الغضب. وهذا البرنامج الايجابي البنّاء يحذر الظالمين من مغبّة ظلم المؤمنين حيث أنهم لا يسكتون على ذلك ويقفون بوجوههم وأن مقابلة الباغي بما فعله ليس بظلم وبغي، وذلك بشرط المماثلة من غير زيادة.

فالمسيحية ترى أن المحبة هي السبيل لانعتاق البشر من الحياة الحزينة في هذه الدنيا، لذا فان الله تعالى لدى المسيحي يعني المحبة قبل كل شيء. وأما الإسلام فبالرغم من اهتمامه بالمحبة بين بني الإنسان إلا أنه ليس في صدد أن يدير العالم بسلسلة من القواعد الأخلاقية فحسب، بل حيث ينبغي أن تكون المحبة فان الإسلام يؤكد عليها، وحيث

ينبغي استعمال القوة فان الإسلام لا يجيز المحبة. ولو تأملنا قليلاً في أناجيل المسيحيين لتوصلنا إلى هذه النتيجة وهي أن افراطاً وتفريطاً في التعليمات المسيحية، بحيث لا تتقبلها العقول السليمة في دنيانا المعاصرة!

وهذا لا يعني أن ننكر تأثير التعليمات الأخلاقية لدى المسيحيين بصورة مطلقة إلا اننا نعلم أنه ما تزال بعض الأُسر المسيحية فيها دلائل من التربية الأخلاقية لدى المسيح وهي تستلفت النظر إلا أن هذه التعليمات ليست في مستوى يمكن أن يقود المجتمع البشري إلى العدل والسلام. فهذا المجتمع المسيحي نفسه هو الذي أحدث في القرون الوسطى تلك المذبحة القاسية باسم تأسيس محكمة تفتيش العقائد فاعدم آلاف العلماء وأحرق آثارهم، وهذه المسيحية نفسها هي التي اشعلت الحروب النووية الصليبية وارتكبت آلاف الاعمال المنافية للإنسانية. كما أن أولئك المسيحيين الذين يُسلّمون الطرف الايسر من وجوههم إلى من لطم على أيمانها - حسب تعاليم السيد المسيح- أجروا بحراً من دماء المسلمين في الاندلس ومن الطبيعي ان فشل المسلمين كان نتيجة فساد نفوسهم وقلوبهم بسبب عدم اتباعهم لتعاليم القرآن الأخلاقية وانه إذا فسد القلب فلا يستطيع العقل ان يعمل شيئاً.

من هنا نرى أن المستعمرين والمستغلين لا يخشون من افتتاح المدارس والجامعات، بل ويقْدِمون بأنفسهم على تأسيسها، ولكنهم يسعون من طرف آخر لإفساد قلوب ونفوس الطلاب والتلاميذ بكل طاقاتهم[٧٢]. والجدير بالذكر أن الغالبية الساحقة من الاسر الغربية قد أهملت جميع التعاليم المسيحية إلا جزءاً من الطقوس التي تقام في الكنيسة أيام (الأحد) من كل أسبوع، فالمسيح الذي ينبغي ان يكون لدى أتباعه رمزاً للخير وقدوة للعمل الصالح نسبوا إليه أعمالاً لا يقو بها إلا الظلمة والجبابرة: «لا تظنوا أنّي جئت لأُلقي سلاماً على الأرض، ما جئت لأُلقي سلاماً بل حرباً، فاني جئت لأُفرّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها... فاعداء الإنسان أهل بيته»[٧٣]. كما نسبوا إليه أيضاً: «جئت لأُلقي ناراً على الأرض»[٧٤].

ومما تقدّم يتضح البون الشاسع والاختلاف بين السيد المسيح وبين ما ورد في القرآن الكريم حيث يخاطب الله نبيه الأكرم قائلاً: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[٧٥].

ونجد أن تعاليم الأخلاق عند اليهود تهدد حياة البشرية ذلك أن التوراة التي لدى اليهود اليوم محرفة عن التوراة المنزّلة على موسى وقد زجّ فيها كتّابها المجهولون الخرافات الكثيرة: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ)[٧٦]. وقد وردت في التوراة المحرّفة أيضاً قصص كاشفة عن عدم عفة الأنبياء وعن ارتكابهم لمختلف المحرمات[٧٧]. ولا يخفى أن كتاب التلمود[٧٨] الذي يُعدُّ من الكتب المعتبرة لدى اليهود ورد فيه الاهانة إلى سائر الفرق الدينية وتفضيل اليهود على سائر الأقوام في العالم وان الله سخر البشر لخدمة اليهود وان حياة الناس وأموالهم هي ملك لليهود[٧٩]..؟!

المطلب الرابع- القرآن يذم أخلاق اليهود:

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم ذمّ اليهود لما اتصفوا به من صفات تتعلق بـ:

١- قساوة القلب: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ)[٨٠].
٢- كتمان الحق: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ... وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[٨١].
٣- نقض العهد والميثاق: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ... ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ...)[٨٢].

٤- تكذيب الأنبياء وقتلهم: (أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)[٨٣].

٥- الأنانية وحب الذات: (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[٨٤].

٦- جمع المال وعبادة المادة: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ...)[٨٥].

٧- العناد والجدال: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ...)[٨٦].

ومن هنا يتضح ان اليهود تناقلوا الصفات والاعتقادات القومية الخاصة عن طريقين: التوارث والبيئة أو المحيط جيلاً بعد جيل، بحيث أن اليهود المعاصرين بصورة عامة لهم اسلوب فكري في اطار القومية والوطنية ويتصفون بصفات أجدادهم، ولأجل هذه الصفات والمكائد التي أرهق اليهود بسببها عامة الناس في فرنسا وغيرها من الدول الأوربية دفع حكومات هذه الدول إلى طرد اليهود وتهجيرهم من بلدانها[٨٧]. فاليهودي وفي أي بلد كان فان المشكلات الأخلاقية توجد بوجوده، وهو يبذل ما في وسعه ليفسد أخلاق الأمم ليستولي على عقولها وروحها. وقد قام اليهود بتأسيس أولى الشركات السينمائية في العالم مثل: ميتروجولدن ماير، ووارنر براذر، وكولومبيا وغيرها... واستطاع اليهود جرّاء ذلك من التأثير في الاعلام الإسلامي والعربي ببرامجهم ومسلسلاتهم وأفلامهم السينمائية والتلفزيونية المختلفة. وبدأوا مع أوائل القرن العشرين يركّزون مؤسساتهم الاعلامية في الولايات المتحدة الامريكية حتّى باتت تسيطر بنسبة عالية على الرأي العام الأمريكي[٨٨]، ومن هنا يتضح أن لليهود الدور الأكبر في تلك المفاسد الأخلاقية. لذا فان على عامة علماء التربية والتعليم والمعلمين الكبار وأساتذة الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية مسؤولية خطيرة من حيث تعريف الناس كافة ولا سيما جيل الشباب منهم بهذه المسألة المهمة.

الخاتمة

إن أهمية دراسة أسباب الانحطاط الأخلاقي عند المسلمين وإيجاد الحلول الناجعة له في ضوء القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، تكمن في:

١- تحقيق الانجازات الكثيرة على صعيد الإيمان وتزكية النفس ووضع الأمة في المكان المرتفع الذي يجعلها قادرة على النظرة الشاملة.

٢- تحرير الارادة وبناء الشخصية والتحكّم بغريزة حب الذات وتطوير المسيرة التكاملية للإنسان بعيداً عن روح العصيان.

ونجد على صعيد آخر أن التعاليم المعنوية والأخلاقية في الاديان تبسط العدل والسلام في العالم وتصفّي النفوس والقلوب متى ما كان النظام الاخلاقي صحيحاً وضمانه قوياً. أما فيما تعلق بثبات الأخلاق فان لثباتها في الإسلام انعكاسات ايجابية على مستوى التعامل مع الأمم والقوميات، بينما نجد تاريخ حياة الانسانية في الغرب مليئاً بالألم والدمار لعدم ثبات الأخلاق. واتضح أن هناك إفراط وتفريط في التعليمات المسيحية واليهودية بحيث لا تتقبلها العقول السليمة عندما نسبوا إلى الأنبياء (عليهم السلام) أعمالاً لا يقوم بها إلا الظلمة، هذا في الوقت الذي نجد القرآن الكريم يخاطب الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) بقوله: {وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين} وينزّه جميع الأنبياء (عليهم السلام) من ارتكاب كل ما لا يليق بقدسيتهم وطهارتهم.

الخلاصة

تتضمن الدراسة ثلاثة أبحاث: المعاناة الإنسانية وكيفية الحد منها، الإخلاص والتكامل الإنساني، والتعاليم المعنوية والاخلاقية في الأديان، لمعالجة أسباب الانحطاط الأخلاقي ووضع الحلول الجذرية لمختلف المشكلات.

وقد تأكد من خلال البحث والدراسة:

١- أن التربية تساهم في خلق وبناء الإنسان المتكامل سواء من الناحية الخُلقية أم العقلية فيما لو أُخذت العقيدة الإسلامية كقاعدة للتربية. ذلك ان العقائد الأخرى لا تصلح أن تكون قاعدة أساسية للتربية لأنها تنظر إلى الحياة من زاوية معينة كالنظرة الدينية المحضة عند المسيحيين والنظرة الدنيوية الخالصة عند الاسرائيليين والنظرة الاجتماعية عند العلمانيين، فالنظر إلى القضية التربوية بعين واحدة تحرف الإنسان عن مسؤوليته في المساهمة في بناء الحياة المتكاملة.

٢- ان التعاليم المعنوية والأخلاقية في الأديان تبسط العدل والسلام في العالم وتصفي القلوب والنفوس، وتضع الأمة في المكان المرتفع الذي يجعلها قادرة على النظرة الشاملة.

٣- إن لثبات الأخلاق في الإسلام انعكاسات ايجابية على مستوى التعامل مع الأمم والقوميات.

وقد اتضح أن طريق العلاج الذي بوسعه يكون مشعل الهداية للمجتمع القلق هو ثبات الأخلاق، الذي يراعى فيه جميع حالات افراد المجتمع الإنساني في الحياة دون النظر إلى الفقر أو الثروة أو اللون أو اللغة أو الجنس... الخ

ذلك أن الهدف الأسمى للإسلام هو تربية الإنسان المطلق لا المحدود بزمان ومكان معين.

الهوامش

(١) النحل: ٧٨.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص٢٨٤.

(٣) زكريا إبراهيم، د. (أبو حيان التوحيدي) ص٣٨- ٣٩.

(٤) الموسوي، أبو هشام عبد الملك، الاساليب التربوية عند أهل البيت، ص١٩.

(٥) ملكيان، مصطفى، العقلانية والمعنوية، ترجمة عبد الجبار الرفاعي، ص١٤٦- ١٤٥.

* كان الدكتور (لنك) ملحداً ثم رأى حوادث جمّة أثبتت وجود الله فصار يؤمن بالله ويعالج مرضاه على ضوء التعليمات الدينية.

(٦) لنك، د. هانري، العودة إلى الايمان، نقلاً عن أحمد أمين، التكامل في الإسلام، ج٧، ص١٨٩- ١٩٠.

(٧) التكامل في الإسلام، المصدر السابق، ج٧، ص١٩١.

(٨) مصدر سابق، ص١٩٣.

(٩) مصدر سابق.

(١٠) الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص١٥٩- ١٦٠.

(١١) البقرة: ٢١٤.

(١٢) البقرة: ٢٥٦.

(١٣) آل عمران: ١٦٩.

(١٤) لقمان: ٢٠.

(١٥) الرازي، محمّد فخر الدين، التفسير الكبير، ج١٣، ص١٥٣.

(١٦) نقصد بالإنسان العلماني هو الذي يتخذ العلوم التجريبية منهجاً في الحياة، ولا يرتب أثراً للدين أو الميتافيزقيا في تشكيل الرؤية الكونية، وبذلك فرؤيته الكونية مادية.

وأما الإنسان القرآني فهو الذي يتخذ من القرآن بشكل خاص ومن الدين بشكل عام منهجاً في الحياة، وبذلك تكون رؤيته الكونية إلهية.

(١٧) أديب ومفكر روسي ومن الكتاب المعروفين في العالم.

(١٨) انظر: المطهري، الشهيد مرتضى، محاضرات في الدين والاجتماع، ص٢٧١.

(١٩) البقرة: ٢٠٨.

(٢٠) انظر: الأمثل، مصدر سابق، ج٢، ص٤٩. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج٢، ص٤٤- ٤٥.

(٢١) ولسون، كولن، رحلة نحو البداية، ص٤٥٠.

(٢٢) فينك، لمن ترهقهم الحياة، ص٢١٩.

(٢٣) الصف: ١٠.

(٢٤) انظر: الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٢٦٨.

(٢٥) انظر: محاضرات في الدين والاجتماع، مصدر سابق، ص٢٧٣.

(٢٦) الحراني، الشيخ أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص١٠٠.

(٢٧) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٧٧، ص٢٨٨.

(٢٨) الأنعام: ١٦٠.

(٢٩) محمّد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٦٠٩.

(٣٠) البيّنة: ٧، ٨.

(٣١) الانشقاق: ٦.

(٣٢) البقرة: ١٩٥.

(٣٣) المؤمنون: ٦٠، ٦١.

(٣٤) البينة: ٨.

(٣٥) النحل: ١٢٨.

(٣٦) إبراهيم: ٨.

(٣٧) آل عمران: ١٤، ١٥.

(٣٨) انظر: الحكيم، السيد محمّد باقر، علوم القرآن، ص٦٩.

(٣٩) المائدة: ٩٠، انظر: علوم القرآن؛ المصدر السابق، ص٧٠.

(٤٠) علوم القرآن، للسيد الحكيم، مصدر سابق، ص٧٠.

(٤١) البقرة: ١٤٥، انظر: الأمثل، مصدر سابق، ج١، ص١٣١، ١٣٢.

(٤٢) البقرة: ١٤٥، انظر: مجمع البيان، مصدر سابق، ج١، ص١٤٥.

(٤٣) التوبة: ٢٤.

(٤٤) التوبة: ١١١.

(٤٥) انظر: مجمع البيان، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٠.

(٤٦) فصلت: ٣٠.

(٤٧) انظر: الأمثل، مصدر سابق، ج١٥، ص٢٨٨- ٢٨٩.

(٤٨) التوبة: ٥٢.

(٤٩) انظر: مجمع البيان، المصدر السابق، ج١٠، ص٦٧.

(٥٠) البقرة: ١٥٥.

(٥١) انظر: الميزان، مصدر سابق، ج١، ص٣٤٩.

(٥٢) الشمس: ٩، ١٠.

(٥٣) البقرة: ١٩٧، انظر: الميزان، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣٣٩. والأمثل، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٤٦، ١٤٧.

* داخر من: دَخَر ودَخِرَ، بمعنى: ذلّ، وصغُر، انظر: المنجد في اللغة والاعلام ص٢٠٨.

(٥٤) غافر: ٦٠.

(٥٥) النساء: ١١٧.

(٥٦) انظر: التفسير الكبير، مصدر سابق، ج١٤، ص٨١- ٨٢.

(٥٧) المائدة: ٨.

(٥٨) الصف: ١١.

(٥٩) المزمّل: ١- ٧، انظر: الأمثل، مصدر سابق، ج١٩، ص٧٧. والتفسير الكبير، مصدر سابق، ج١٥، ص١٧٢- ١٧٥.

(٦٠) أصلها، متزمّل وهي من التزمّل وتعني لف الثوب على نفسه، ولهذا جاء لفظ الزميل، أي: المصاحب، انظر أيضاً: الأمثل، مصدر سابق، ج١٩،ص٧٧.

(٦١) المزمل: ٢٠.

(٦٢) المزمل: ٢٠.

(٦٣) انظر: الميزان، مصدر سابق، ج٢٩،ص٧٤، ٧٥.

(٦٤) ترتيل: من مادة (رتل) وترتيل القرآن: تلاوته بتبيين حروفه على توالِيها، انظر: الميزان، المصدر السابق، ج٢٩، ص٦١.

(٦٥) الفرقان: ٣٢، انظر: الأمثل، مصدر سابق، ج٩، ص١٩٩- ٢٠٠.

(٦٦) المصدر السابق.

(٦٧) انظر: العقلانية والمعنوية، مصدر سابق، ص٩٧.

(٦٨) يونس: ٦٢- ٦٤.

(٦٩) يوسف: ١٠٤.

(٧٠) العهد الجديد، انجيل متى: سفر ٥: ٤٥، ص٩.

(٧١) الشورى: ٤٠، انظر: الميزان، مصدر سابق، ج١٨، ص٦٤. والأمثل، مصدر سابق، ج١٥، ص٣٦٢.

(٧٢) مطهري، الشهيد مرتضى، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن، ص٥٣.

(٧٣) العهد الجديد: انجيل متى: سفر ١٠: ٣٥- ٣٧، ص١٨- ١٩.

(٧٤) العهد الجديد، انجيل لوقا: سفر ١٢: ٥٠، ص١٩٩.

(٧٥) الأنبياء: ١٠٧.

(٧٦) البقرة: ٧٧- ٧٨.

(٧٧) العهد القديم: التكوين: سفر ٩: ٢٠- ٢٩، ص١٥.

(٧٨) التلمود: اسم يعني: التعلّم أو نيل العلم ومنه تلموداي: المتضلّع بالتلمود وتلمودي: المتعلق بالتلمود. انظر: قوجمان، قاموس عبري - عربي، مادة تلمود.

(٧٩) التلمود قسمان: أ- الأصل (المتن). ب- الشرح. والشرح أيضاً قسمان: أ- شرح حاخامات فلسطين. ب- شرح حاخامات بابل عام٥٠٠م. انظر: دائرة المعارف اليهودية، ج١، مادة التلمود. كوهن، د. آ. التلمود، ترجمة جاك مارتي، ص١١٣- ١٢٢.

(٨٠) البقرة: ٧٥.

(٨١) البقرة: ٤٢.

(٨٢) البقرة: ٨٤- ٨٥.

(٨٣) البقرة: ٨٧.

(٨٤) البقرة: ٩٥.

(٨٥) البقرة: ٩٦.

(٨٦) المائدة: ٦٠.

(٨٧) وليم كار، اليهود وراء كل جريمة، ص٦٤.

(٨٨) فايدو، أي. ج، التأثير اليهودي في السياسة الخارجية الامريكية، ص١٢، بيروت، ١٩٨٠.

مراجع البحث

القرآن الكريم

١- الموسوي، أبو هشام عبد الملك، الأساليب التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)، دار المحجّة البيضاء للنشر، بيروت ٢٠٠٩م.

٢- المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، ط٥ القاهرة ١٩٦٧.

٣- زكريا إبراهيم، (أبو حيان التوحيدي) أعلام الفكر العربي، وزارة الثقافة، مصر ١٩٦٤.

٤- ملكيان، مصطفى، العقلانية والمعنوية مقاربات في فلسفة الدين، مركز دراسات فلسفية، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥- أحمد امين، التكامل في الإسلام، منشورات مطبعة النعمان، النجف الأشرف، (ب.ت).

٦- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الأعلمي، بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ

٧- الفخر الرازي، محمّد فخر الدين بن ضياء الدين عمر، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.

٨- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، إحياء التراث، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٩- المطهري، مرتضى، محاضرات في الدين والاجتماع، انتشارات مدين، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
١٠- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة العلماء بيروت ١٩٩٥م.
١١- ولسون كولن، رحلة نحو البداية، ترجمة سامي خشيه، منشورات دار الأدب، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.
١٢- فينك، هارولد، لمن ترهقهم الحياة، ترجمة، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٩م.
١٣- الحراني، أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، جماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
١٤- المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣.
١٥- محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، دار التعارف بيروت، ١٩٨٢.
١٦- الحكيم، السيد محمّد باقر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدسة، ط٩، ١٤٣٣هـ.
١٧- مطهري، مرتضى، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١٨- الكتاب المقدس، الأصل العبري والعربي، دار الكتاب المقدس.
١٩- قوجمان، قاموس: عبري- عربي، مكتبة المحتسب، ب.ت.
٢٠- وليم كار، اليهود وراء كل جريمة، دار الكتاب العربي بيروت (ب.ت).
٢١- فايدو، أي. ج، التأثير اليهودي في السياسة الخارجية الأمريكية، بيروت ١٩٨٠.
٢٢- كوهن، د. آ. ، التلمود، بيروت، (ب ت).